مقصد إصلاح العالم في القرآن الكريم

فريدة حايد*

الملخص

يهدف البحث إلى بيان حقيقة الإصلاح وأسسه في القرآن الكريم بوصفه أهم المقاصد الشرعية وأعظمها؛ فالإصلاح –بما يعني من دفع للفساد، وإحلال للنفع– مقصد قطعي قرآني هدفه حفظ نظام العالم، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو الإنسان. وقد أشار البحث إلى أن أساس الإصلاح الإنساني هو إصلاح التفكير الذي يقود إلى إصلاح الأعمال التي لها أثرها في بناء الحضارة والعمران.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، إصلاح، مقاصد، نظام العالم.

Reform of the World Order as a Qur'anic Intent.

Farida Hayed

Abstract

This paper addresses the nature of reform and its foundations in the Gracious Qur'an, as reform is considered the most important and legitimate intent. Reform (*Islah*), i.,e. achieve the good and prevent corruption, is a definite Qur'anic intent, to preserve the World order and maintain its good quality through the good quality of Man, the vicegerent.

The paper concludes that the basis of Man's reform is the reform of his thinking that leads to reform of his endeavor to build civilization and development.

Keywords: Gracious Qur'an; Reform; Intents; World order.

* دكتوراه في الفقه وأصوله، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٧م، أستاذ محاضر في كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة جيجل– الجزائر. البريد الإلكتروني: faridahaid@yahoo.fr

تم تسلم البحث بتاريخ ٢٠١٦/١٠/١٥م، وقُبل للنشر بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٥م.

مقدمة:

جاءت تعاليم الإسلام عموماً والقرآن الكريم خاصةً بالتقويم والإصلاح لحالة المجتمع الذي كان سائداً، وحالة الإنسان المهيمن عليه؛ ما يؤكد قيام دعوة القرآن على الإصلاح الشامل لمختلف جوانب الحياة الدينية والدنيوية، حتى غدا مقصداً له؛ بغية إنشاء نظام جديد يقوم على أسس التعاون والرحمة، ويعنى بإصلاح الإنسان وتهيئته لأداء مهامه. ولهذا كانت أهم مقاصد القرآن إصلاح الإنسان، وتقويم فكره ومعتقده وسلوكه، ثم إصلاح مجتمعه بتقويم فكره الجماعي وقيمه، فجاء الإصلاح القرآني شاملاً متكاملاً، مُلاحَظاً فيه الجانب الروحي، وجانب الواقعية، جامعاً بين المادة والروح بهدف تأسيس نظام صالح لكل الإنسانية، والبقاع الأرضية.

وقد قام الإصلاح القرآني على الإصلاح العقدي لإيجاد مناخ فكري تنطلق منه الإصلاحات الفردية والجماعية، فبدأ بإصلاح العقيدة والروح، ثم تدرَّج في إصلاح السلوك والنظم الاجتماعية، وتجلَّى في إنجازاته، فاهتم بإصلاح الأسرة ونظامها، والمعاملات المالية، وسائر الحاجات الإنسانية، مُمثِّلاً مقصداً ذاتياً له تجلياته في الحياة، وغير مفصول عنها، فكان من مقاصد الإسلام عامةً ومقاصد القرآن خاصةً تطهير العقائد، وإصلاح الأخلاق، وتشريع العبادات الصحيحة، وبيان الطيبات من الرزق والمتاع، وتنظيم المعاملات، فيما يمكن تسميته مقصد إصلاح العالم؛ فقد تجلَّى ذلك في كثير من آياته وأحكامه، ما جعلني أروم جمع هذه الآيات والتأصيلات الواردة فيه ليكون التأصيل قوياً مُعزَّزاً بالحجج والأدلة، ولعل بحثي هذا (مقصد إصلاح العالم في القرآن الكريم) يُسهِم في تأصيل مقاصد القرآن بوجه عام.

ويمكن إجمال أهمية البحث والهدف منه فيما يأتي:

١. الوقوف على أساس الإصلاح في القرآن الكريم.

٢. الإسهام في وضع قواعد إصلاحية نابعة من القرآن الكريم.

٣. الإسهام في البناء الحضاري للأُمة اعتماداً على التفسير الصحيح لبعض مقاصد القرآن، ووضع تطبيقات عملية لها.

٤. الدعوة إلى الاجتهاد والعمل في ضوء تعاليم القرآن الكريم؛ سعياً لرفعة الأُمة الإسلامية وتقدمها.

واقتضت طبيعة الموضوع توظيف المنهج الاستقرائي أولاً لمعرفة آيات الإصلاح ودلالاتها، ومعرفة أقوال العلماء في ضوئها، ثم استخدام المنهج التحليلي لبيان مقصود الإصلاح في القرآن الكريم وتجلياته المعاصرة.

أولاً: حقيقة مقصد الإصلاح وأهميته في القرآن الكريم

وردت لفظة "الإصلاح" في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بأساليب متنوعة وسياقات مختلفة، أدَّت إلى اختلاف المعنى المقصود. وفيما يأتي دلالتها في اللغة والاصطلاح تمهيداً للتعريف بدلالتها في القرآن الكريم:

١. تعريف الإصلاح لغةً:

الإصلاح، ومنه الصلاح، مأخوذ من الفعل صلح ضد فسد، وأصلح ضد أفسد. والصلاح ضد الفساد، ومنه صِلحٌ (بالكسر)، وصالح، وصليح. وأصلحت إلى الغير: أحسنت إليهم.[١] والصُّلح (بالضم): السلم، ومنه المصلحة أيضاً، وهي واحدة المصالح. واستصلح نقيض استفسد،[٢] وصلح الشيء إذا كان نافعاً أو مناسباً.[٣]

فالإصلاح لغةً: إحلال الصلاح والنفع والخير في النفس أو الغير، فيصبح الشيء نافعاً أو مفيداً.

---

[١] الفراهيدي، الخليل بن أحمد. **كتاب العين**، تحقيق وترتيب: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مج٢، ص٤٠٦.

[٢] الفيروزآبادي، مجد الدين. **القاموس المحيط**، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٣م، باب: الحاء، فصل: الصاد، ص٢٠٨-٢٠٩.

[٣] مجمع اللغة العربية. **المعجم الوسيط**، إخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، تركيا: د.ن، ط١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ج١، ص٥٢٠.

٢. تعريف الإصلاح اصطلاحاً:

قد يكون المعنى اللغوي أصدق تعبير عن المعنى الاصطلاحي؛ فالإصلاح بوجه عام هو نقيض الإفساد. وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، وهو المعنى الذي وقف عنده الكثير من المفسرين؛ لأنه أجمع لمعاني الإصلاح على اختلاف مجالاته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ (البقرة: ١١-١٢). قال ابن عاشور في معرض تفسير هاتين الآيتين: "الإصلاح ضد الإفساد؛ أي جعل الشيء صالحاً، والصلاح ضد الفساد. يقال: صلح بعد أن كان فاسداً، ويقال: صلح بمعنى وجد من أول وهلة صالحاً."[٤] أمَّا الإفساد فعرَّفه قائلاً: "الإفساد فعل ما به الفساد؛ أي جعل الأشياء فاسدة في الأرض، والفساد أصله استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضرة به أو بغيره، وقد يطلق على وجود الشيء مشتملاً على مضرة وإن لم يكن فيه نفع من قبل... والإفساد في الأرض تصيير الأشياء الصالحة مضرة كالغش في الأطعمة، ومنه إزالة الأشياء النافعة كالقتل والحرق للبريء، ومنه إفساد الأنظمة بالجور، ومنه إفساد المساعي بتكثير الجهل وتعليم الدعارة وتحسين الكفر... ."[٥]

وأمَّا الإصلاح بخصوصية مجالاته فتُعرِّفه عبارات كثيرة تدل على خصوصية المقصود؛ فقد عُرِّف الإصلاح في موسوعة السياسة مثلاً بأنه: "تعديل أو تطوير غير جذري في شكل الحكم، أو العلاقات الاجتماعية دون المساس بأسسها"[٦] [وهو بهذا المعنى السياسي مخالف للثورة التي تعني إصلاحاً جذرياً بإصلاح الأسس. أمَّا الإصلاح فهو ليس سوى تحسين في النظام السياسي والاجتماعي القائم من دون المساس بأسس النظام].[٧] فهو في نظر السياسة يقتصر على إجراء تعديلات وتغييرات في نظام ما (قد يكون نظاماً سياسياً، أو زراعياً، أو دينياً) لتحسينه... وأمَّا في مجال الاقتصاد فهو في مجمله: "مجموع السياسات التصحيحية التدرُّجية التي تتبناها دولة ما لمعالجة التشوهات

[٤] ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج١، ص٢٨٥.

[٥] المرجع السابق، ص٢٨٤-٢٨٥.

[٦] الكمالي، عبد الوهاب وآخرون. **موسوعة السياسة**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت، ج١، ص٢٠٦-٢٠٧.

[٧] المرجع السابق، ص٢٠٧.

والاختلالات الهيكلية في الاقتصاد، عبر إحداث تغييرات جوهرية في أساليب تعبئة الموارد وتوزيعها وإدارة الإنفاق، ... بغية تحقيق الاستقرار والنمو الاقتصادي،"[٨] وهو يشمل التغيير الجذري وغير الجذري.

وأمَّا معناه الاجتماعي فيشير إلى "الحركة العامة التي تحاول القضاء على المساوئ التي تنشأ من خَلَل في وظائف النسق الاجتماعي، أو أي جانب منه. وهذا يعني التغيير إلى الأحسن، وتحقيق التقدُّم، وتحديث المجتمع."[٩] فهو يهدف عموماً إلى تخفيف مساوئ النظام الاجتماعي، وتصحيح الأوضاع الفاسدة؛ وذلك عن طريق تعديل بعض النظم الاجتماعية، من دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير البناء الأساسي للمجتمع.[١٠] ويبدو هذا التصور أشبه بمبدأ من مبادئ الإسلام، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع المجالات.

وبوجه عام، فإن مفهوم "الإصلاح" يعني التغيير والتقويم والتطوير وإزالة الفساد حتى يعم الخير والفلاح؛ أي –كما قال ابن عاشور– جعل الشيء صالحاً بعد أن كان فاسداً، فيما يبدو أنه قد خالف الموسوعة السياسية في جعل الصلاح تغييراً وتعديلاً من دون تغيير جذري، غير أن الإصلاح في التغيير الجذري قد يكون بتغيير الأسس الفاسدة، واستبدال أسس صالحة نافعة بها، ليتأسس بذلك مقصد الإصلاح ودفع الفساد، وهو ما جاء به القرآن الكريم دستوراً لدين أراده الله تعالى خاتماً للأديان، فشمل الإصلاح غير الجذري، والإصلاح الجذري بالنظر إلى ما كان سائداً من أوضاع، ولذلك يرى الألوسي أنه: "عبارة عن الإتيان بما ينبغي، والاحتراز عمَّا ينبغي."[١١] وعلى هذا، فإن مفهوم "الصلاح" جامع لكل خير، ومانع لكل شر، وبه يتحقق النمو والازدهار والنهضة

[٨] طه، همام. "مفهوم الإصلاح الاقتصادي في الوعي العربي"، مقال في الموقع الإلكتروني: http://thewhatnews.net/post، يوم ٣/١/ ٢٠١٧م.

[٩] باشا، عمر علي. "إصلاح المجتمع.. الأبعاد السياسية والاجتماعية"، مقال في الموقع الإلكتروني: https://omrbasha.wordpress.com، يوم ٣/١/ ٢٠١٧م.

[١٠] زيدان، عبد الكريم. **القيود الواردة على الملكية الفردية للمصلحة العامة في الشريعة الإسلامية**، عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٢م، ص٥.

[١١] الألوسي، محمود أبو الفضل. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج٩، ص١٤٥.

للمجتمع، وهو يمثل مفهوم "الإصلاح الشامل" الذي ينشده الإسلام، والذي يتداخل مع معنى التحديث والتجديد والاجتهاد. فالفعل الإصلاحي فعل تحديث وعصرنة[١٢] تتعلق بالإنسان والمجتمع، ويشمل جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية.

ولو أردنا استقراء مادتي "الصلاح" و"الإصلاح" في القرآن الكريم لوجدنا دستوراً شاملاً باسم الإصلاح؛ فقد تعددت الاستعمالات، وتعددت بذلك المعاني، فجاء ذكر الإصلاح العقدي والأسري والإنساني، وجاء القرآن مادحاً الصلاح والإصلاح في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ (المائدة: ٣٩)، وقوله ﷻ: ﴿مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (الأنعام: ٥٤)، وقوله سبحانه في الحسرة على العمل الصالح: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ﴾ (فاطر: ٣٧)، وقوله في البشارة للمصلحين: ﴿فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (الأنعام: ٤٨)، وقوله سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (الأعراف: ٣٥).

وبالمقابل، فقد حذَّر القرآن الكريم من الفساد والإفساد، ومعلوم مناقضتهما للصلاح والإصلاح كما مرَّ، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ (الأعراف: ٥٦)، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢﴾ (الشعراء: ١٥٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ (البقرة: ٢٠٥).

وبذلك يتضح أن الإصلاح مقصد قرآني جاء تأصيله في القرآن الكريم بالإشارة إلى مجاله تارةً، أو أثره تارةً أخرى؛ ما يُبيِّن أهميته في سُلَّم المقاصد الشرعية. وقد ثبت باستقراء آيات القرآن الكريم، وكذا السُّنة -بما لا يدع مجالاً للشك- أن المقصد العام من التشريع هو: "حفظ نظام الأُمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان."[١٣]

[١٢] بلقزيز، عبد الإله. **الخطاب الإصلاحي في المغرب: تكوين ومصادر**، بيروت: دار المنتخب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص١٦.

[١٣] ابن عاشور، محمد الطاهر. **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج٣، ص١٩٤.

ويشمل صلاحه صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه، قال الله تعالى حكايةً عن شعيب، وتنويهاً به: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ (هود: ٨٨)، وقال سبحانه على لسان موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢)، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾ (القصص: ٤)، فعلمنا كما يقول ابن عاشور "أن الله قد ذم فرعون وعمله، وجعله من المفسدين، كما مدح موسى وصنيعه، وجعله من المصلحين، فدل ذلك على أن المراد من الفساد في القرآن ليس الكفر فقط بمعنى جحود الإله ونكرانه، بل هو فساد العمل في الأرض، والدليل ما جاء في آيات أخرى تُبيِّن أن صلاح العمل هو المقصود، وأن صلاح الإيمان دون العمل غير مقصود، فقال عن شعيب وهو يريد إصلاح أهل مدين: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ (الأعراف: ٨٥)، وفي آية أخرى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود: ٨٥)، وقال الله تعالى مخاطباً هذه الأُمة: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ (الأعراف: ٨٥)، وقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾ (البقرة: ٢٠٥)، وقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣﴾ (محمد: ٢٢-٢٣)."[١٤]

فهذه آيات بينات تُوضِّح أن مقصود القرآن من إقامة الدين هو الإصلاح، وأنه قَرنَه بالعمل الصالح، ودليل ذلك ما جاء في معرض المَنِّ على الصالحين من عباده في مختلف العصور بأن لهم سيادة هذا العالم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾ (الأنبياء: ١٠٥)، وكذا استخلاف هذه الأُمة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٥)؛ لذا جعله العلماء مقصداً كلياً تعود إليه كل مقاصد الدين الحنيف، وهو مقصد المقاصد كما قال عنه ابن عاشور ضمن عنوان: "المقصد العام من التشريع"؛ إذ

[١٤] المرجع السابق، ص١٩٤.

قال: "فقد انتظم لنا الآن أن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد، وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان، ودفع فساده."[١٥]

فهذه أدلة صريحة كلية تؤكد أن مقصد الشريعة من إقامة الدين وإنزال القرآن هو الإصلاح وإزالة الفساد. ولو أن صلاح هذا العالم غير مقصود للشارع ما امتنّ به على الصالحين من عباده، وكما أن الإصلاح المقصود شرعاً هو الإصلاح المشفوع بالعمل، أو إصلاح العمل أساساً، بما فيه الإصلاح الاعتقادي الذي هو أساس العمل، من دون فصل بين الاعتقاد والعمل، أو كما يظن بعضهم من أن الإصلاح الاعتقادي يغني عن إصلاح العمل، وكما هو عند بعض آخر إصلاح العمل من دون الاعتقاد، وكما أن الإصلاح المقصود شرعاً هو إصلاح الفرد ضمن المجموع، وإصلاح المجموع ليكون في خدمة الفرد، وهذا يدخل في إصلاح العالم كله؛ فإن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ﴾ (البقرة: ٢٠٥) أنبأنا بأن الفساد المُحذَّر منه هو إفساد موجودات هذا العالم.

وهكذا يتبين أن المقصود من إصلاح العالم هو تحقيق المصلحة للناس أجمعين، والحفاظ عليها؛ فكل ما يقيمها هو إصلاح مطلوب، وكل ما يُعوِّقها هو غير مطلوب. "والمصلحة باتفاق العقلاء وجميع الشرائع أمر مطلوب وواجب التحقق في الأحكام، وهي في الإسلام أساس التشريع وركنه الركين."[١٦] ولذلك ارتبط مقصود الإصلاح القرآني ارتباطاً وثيقاً بالمصالح المقصودة شرعاً،[١٧] وانتظم لنا أن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح، ودرء الفساد، وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان، ودفع فساده، ثم صلاح المجموع الذي يعيش فيه؛ لذا عالج الإسلام صلاح الإنسان بصلاح أفراده الذين هم أجزاء نوعه، وبصلاح مجموعه، وهو النوع كله، فابتدأ الدعوة بإصلاح الاعتقاد الذي هو إصلاح مبدأ التفكير الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير الحق في أحوال هذا العالم، ثم

---

[١٥] ابن عاشور، محمد الطاهر. **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، الجزائر-تونس: المؤسسة الوطنية للكتاب، الشركة التونسية للتوزيع، ط٢، د.ت، ص٤٢.

[١٦] أبو زهرة، محمد. **المجتمع الإنساني في ظل الإسلام**، الرياض: الدار السعودية للنشر، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٧٣- ٧٤.

[١٧] المرجع السابق، ص٧٣-٧٤.

عالج الإنسان بتزكية نفسه، وتصفية باطنه بالأخلاق التي تعد محرك الإنسان إلى الأعمال الصالحة.[١٨]

ثانياً: مقصد إصلاح العالم بتصحيح العقائد والأخلاق

١. إصلاح العقائد:

نادى القرآن الكريم بإصلاح الفرد أولاً وآخراً، فدعا إلى تحرير أفكاره وعقائده من خرافات الجاهلية وبراثن الوثنية؛ فباستقراء الواقع الجاهلي يتبين لنا فساد الناس في اعتقاداتهم التي جمعت بين الشرك والتقديس للأشخاص، وعبادة الأصنام والأوثان، فكان الإنسان عبداً لصنم يصنعه بيده، وعبداً لإنسان مثله، وقد ثار الإسلام على هذا الوضع بإرسال الرسول ﷺ، وإنزال القرآن المجيد، فكان أول ما صححه، وطالت مدته، إصلاح التفكير الإنساني بتوجيهه التوجيه الصحيح في التقديس، بحيث يتجه بالوحدانية والتقديس إلى إله واحد، له من الصفات ما يفوق صفات آلهتهم ومعبوداتهم. فإصلاح العقيدة في نظر القرآن هو المحرك الأساس لتقبُّل كل صالح ونافع بعده؛ فلا عبودية إلا لله، ولا تفكير صالح إلا في ظل هذه العقيدة، وبذلك ارتقى بالإنسان من عبادة الذوات والمواد إلى عبادة يسمو فيها، ويلوح حركة الروح بحيث تكون ضابطاً لكل الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦)، وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (النساء: ٣٦).

فتحرير الإنسان من الناحية الغيبية والروحية يمثل أول نهضة كانت له في ضوء الإسلام؛ إذ جعل الفرد مسؤولاً أمام الله من دون واسطة، سواء من رجال الدين أو غيرهم، فالكل متساوون أمام الله تعالى، ولا أحد مسؤول عن عمل أحد؛ فالإنسان في علاقته بالله حرٌّ حرية تكريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠) لا حرية تهديم. "كما هو الشأن في مسألة الحقوق والواجبات في الديمقراطية العصرية، أو الضمانات الاجتماعية والمادية في الفلسفات المعاصرة؛ لأنها قد تكون ناقصة دون تحرير تام من

[١٨] ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٦٤.

عبادة الإنسان لغيره، فقد تتحول هذه الضمانات إلى استعباد أو استغلال."[١٩] وفي هذا الإصلاح القرآني ما يُبيِّن أن أساس قيام الحضارة هو الإنسان نفسه؛ بتكريمه أولاً، وتحريره عقائدياً وفكرياً (عقلاً)، ثم دعوته إلى العمل لقيام حضارة الإنسان لا المادة.

ولتحقيق هذه الأهداف والمقاصد، فقد شرع الله تعالى جملة أحكام تميزت بالوسطية والاعتدال، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران: ٨٥). والحقيقة أنه لو تصفحنا الكتاب العزيز لوجدنا أن المجتمعات البشرية –على مرِّ التاريخ– كانت مصابة بأحد الانحرافين الآتيين:

– الانحراف العقدي: وذلك أن العقائد كانت غالباً مقتبسة من غيرهم دون تدبر.

– الانحراف الفكري: هو انحراف ناتج من الانحراف العقدي؛ لأن التقليد لا يفضي إلى الابتكار والاكتشاف الروحي والمادي.

ولو تصفحنا تاريخنا وواقعنا لتبيَّن أننا لم نُحقِّق تقدماً وازدهاراً وحضارةً إلا في ظل تفوُّقنا العقدي الذي هدانا إلى التفوُّق المادي في العلوم كلها. ولا مانع اليوم من الاختراع والاكتشاف باسم الإسلام واسم العقيدة الإسلامية التي تدل في منتهاها على منتهى سلامة الروح والمادة، في سبيل الله، لا تدميرها وإفنائها بمنتهى الخضوع والاستسلام، و"لذلك جعل القرآن محور خطابه العقدي عقل الإنسان، وغايته من ذلك الدعوة إلى التفكير والحث عليه."[٢٠] فهو يجعل التفكير السليم والنظر الصحيح إلى آيات خلقه وسيلة من وسائل الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ (آل عمران: ١٩٠).

لقد قامت الحضارة في ظل الإسلام على المنهج العلمي الذي لم ينكره أحد، بل بلغت الحضارة الإنسانية أوجها في العصر الإسلامي الذي ازدان بعشرات ومئات من العلماء الذين ترجموا علوم الحضارات السابقة وأضافوا الكثير من مبتكراتهم؛ إذ منح ظهور الإسلام الفكر العلمي دفعة قوية لكي ينفتح وينتشر ويزيد في معارف الإنسان ورفاهيته،

---

[١٩] عكاشة، شايف. **الصراع الحضاري في العالم الإسلامي**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٤م، ص٤١–٤٤.

[٢٠] العقاد، عباس محمود. "الفلسفة القرآنية"، **سلسلة ثقافية شهرية تصدر عن كتاب الهلال**، مصر، عدد٢٢٩، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م، ص١٥–١٦.

فقد كانت أُولى آياته ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ (العلق: ١)، ودعت معظمها إلى التفكير في ملكوت السماوات والأرض والكون والكائنات والنبات والحيوان، مُفرِّقةً بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وبين الذين أوتوا العلم والذين لم يؤتوه... .[٢١] وفي هذا كله دعوة إلى العلم والتقدُّم والازدهار.

ولذلك حُقَّ لنا قول إن القرآن الكريم هو الذي يقود الناس (بفضل تعاليمه) إلى النهضة والرقي الحضاري، وذلك بإعادة بنائه الفكر الذي يؤدي إلى إعادة البناء الحضاري؛ فدعوة القرآن إلى التدبر في الكون مثل دعوته إلى التدبر في القول، وهذا يوجب علينا في هذا العصر ربط القرآن الكريم بوظيفته الحضارية العلمية.[٢٢] وأمَّا مَن قال بغلق باب الاجتهاد فقد عارض دعوة القرآن المتكررة للتدبر والتفكر والتبصر والتعقل والسير في الأرض وسبر أغوار الظواهر المادية استقراءً لقوانينها التي بثها الله فيها في اطراد لا شذوذ.[٢٣]

وإن المتتبع لحال الجزيرة العربية، وما جاء به الإسلام والقرآن، وأثره في إصلاحها، يلحظ صدق الدعوة القرآنية إلى الإصلاح، ويدرك أنها ليست دعوة اعتباطية؛ فقد جمع الإسلام –بوصفه نظاماً إصلاحياً– بين العدل والرحمة، وبين القلب والروح، وبين العلم والعمل،[٢٤] فتقدمت أُممنا في ظله، وارتقت بسلوكها إلى مستوى تقديسه، فكان المسلم مثالاً للرحمة والتسامح والرقي والازدهار، لينهار اليوم في هاوية الضلال والظلم والتخلُّف والدمار.

فعقيدة الإسلام إذن غير منفصلة عن الحياة، وهي إعداد للحياة، وتوجيه لها، ودفع إلى الغايات الكريمة والمقاصد الطيبة النافعة.

---

[٢١] نخبة من العلماء. **أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٧٠م، ص٢٠٠-٢٠٤.

[٢٢] التيجاني، عبد القادر. "في فقه الإصلاح الإسلامي"، **مجلة إسلامية المعرفة**، عدد١٧، صيف ١٩٩٩م، ص١٥-١٨ بتصرف.

[٢٣] عرفان، عبد الحميد فتاح. "الإطار الفكري العام لنظرية المعرفة في القرآن الكريم"، **مجلة إسلامية المعرفة**، عدد١٥، شتاء ١٩٩٩م، ص٨٣.

[٢٤] العقاد، عباس محمود. **الإسلام دعوة عالمية**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٩م، ص١٠٩.

٢. إصلاح الأخلاق:

أكد القرآن الكريم محورية قضية الإنسان فيه، وأنه بصلاحه يصلح غيره، ويقيم دنياه بكل خير ونفع عميم. ولتمام إصلاحه، فقد دعا إلى تنميتها روحياً بوسائل غائية تربط العقيدة الحية بالحياة العملية، وهي قضية الأخلاق الإنسانية، والعبادات الظاهرة والخفية التي تجعل هذا الإنسان آلة مهدية لا آلة إنتاجية، قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾ (يس: ٧٠)، وقال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ (الأنعام: ١٢٢)، في إشارة إلى ضرورة علاج هذه الروح بعد إحيائها بالتعرُّف إلى خالقها، فجعل الأخلاق آلة إصلاحية لهذه الروح في مرتبة أُولى، مُبيِّناً أنها (الأخلاق) تمثل كيفية تعامل الإنسان مع الله، ومع الحياة، ومع الكون بما فيه من جمادات وحيوانات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾ (البقرة: ٢٠٥).

فالأخلاق في القرآن الكريم تمثل قوة نفسية تدفع العقيدة السلوكية، بحيث تدفع الإنسان إلى أن يتصرف كما يليق بالكرامة الإنسانية، لا أن يتصرف كما تحمله القوة الحيوانية، أو القوة الآلية. "فالصبر والصدق، والعدل والإحسان، وغيرها هي مثال الكمال الذي يطلبه الإنسان لنفسه، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝٤٣﴾ (الشورى: ٤٣)، ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ (الإسراء: ٨٠)، ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨)."[٢٥] فهذه هي فضائل الأخلاق القرآنية، "وهي أخلاق إنسانية جاءت لإقامة فضائل الإنسانية عامة كقانون تسمو تحت سلطانه فضائل الأخلاق المقبولة عند الإنسانية كلها؛ فالفضيلة عموماً تُحرِّم الغيبة، والنميمة، والكذب، والنفاق، والمخاتلة، والمخادعة."[٢٦]

ولدوام الإصلاح الاجتماعي، فقد شرع الله تعالى الأخلاق الاجتماعية إكمالاً للأخلاق الفردية، وهي مكارم الأخلاق من العدالة والإنصاف، والاتحاد والمواساة؛ فقوام

[٢٥] العقاد، **الفلسفة القرآنية**، مرجع سابق، ص٣٠-٣٥.

[٢٦] أبو زهرة، **المجتمع الإنساني في ظل الإسلام**، مرجع سابق، ص٦٥.

الإصلاح الجماعي هو الإصلاح الأخلاقي الذي يعود بالنفع على المجتمع والإنسانية جمعاء، فيما يُعرَف اليوم بالقيم العليا، وحقوق الإنسان، وعلى رأسها المودة، والرحمة، والعدل، والحرية، وما يتفرع عنها من التسامح والسماحة والمساواة؛ وذلك "لأن الدعوة إلى الإصلاح يعني القصد إلى إقامة عالم يسوده العدل والرحمة والمصلحة؛ أي سيادة قيم المودة والرحمة والعدل والسماحة، وتفريغ العالم من الشرور، وهذه القيم لا تكون إلا بالاعتقاد الصحيح والاستقامة، فعند نفوذه في نفوس أتباعه يحبب إليهم العدالة والاستقامة حتى يبلغوا درجة التطبع عليهما، فينساقوا إليها باختيارهم."[٢٧]

وقد نظرتُ في القيم الضرورية للإنسان فوجدت أهمها قيمتين، هما: العدل، واليسر والرحمة؛ فبهما تتحقق مصالح الإنسان وتكتمل.

أ. **العدل**: هو قيمة عالية تتصدر كل القيم والثوابت التي يدعو إليها الدين عامة والقرآن الكريم بوجه خاص؛ إذ إنه مقصد الشريعة الأول الذي يترجم معنى الإصلاح وإبعاد الفساد، بما يعني من دفع للجور والظلم، وهو يعني جماع مزاج الإسلام وخصيصة حضارته؛ أي الوسطية والتوازن المدرك بالبصيرة الذي يحقق الإنصاف بإعطاء كل إنسان ماله، وأخذ ما عليه منه؛ لذا كان فريضة واجبة فرضها الله تعالى على الناس كافةً من دون استثناء؛ على رسوله، وعلى أولياء الأمور، قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ (الشورى: ١٥)، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ (النساء: ٥٨).[٢٨]

وأساس العدل في القرآن الكريم هو المساواة؛ "فالقرآن وإن أقرّ التفاوت بين الناس فيما ينتظم به العمل الجماعي فلا تفاوت بسبب الجنس، أو اللغة، أو اللون؛ إذ لا فرق بين إنسان وإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ (الحجرات: ١٠)، وكذلك في فقه العلاقات الدولية لا فرق بين أُمة وأُمة، ولا بين قبيلة وقبيلة، ولا بين أحد وأحد، إلا

[٢٧] ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص٦٢ فما بعدها.

[٢٨] عمارة، محمد. **الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٥٥-٥٦.

برعايـــة الحقـــوق والواجبـــات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ (الحجرات: ١٣). فالتعارف هو مقصد الاختلاف، ووسيلة للتعاون والإخاء، وليس وسيلة للادعاء والتنابذ والتعصب للأجناس والتعالي بالعصبيات، فلا تفاضل إلا بالتقوى والصلاح، وليس بالقوة فقط."[٢٩]

وأمَّا ما شاع على ألسن الناس من أن الإسلام دين سيف، وأن العلاقة بينه وبين غيره من الأمم علاقة حرب وقتال لا علاقة سلم ووئام، فنقول -بمنطوق آياته- إن الإسلام لم يضع السيف قط في غير موضعه، ولم يستخدمه قط حيث يستغنى عنه بغيره، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ (البقرة: ١٩٠)، وقال سبحانه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقال عز من قائل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ (الأنبياء: ١٠٧)؛ "فقوام العلاقات الدولية في الإسلام على الرفق ما أمكن الرفق، ثم على القوة المنصفة لاتقاء ما لا يتقى بغيرها."[٣٠]

فالعدل إذن هو شعار الدين وميزته، قال الله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ (النحل:٩٠). وقد ذكر العلماء أن هذه الآية هي أجمع آية لمعاني الإسلام التقت فيها كل خواصه.[٣١]

ب. اليسر والرحمة: اليسر والرحمة من أوضح سمات الشريعة الإسلامية، بل عنوانها الواضح الذي تُعرَف به؛ فأي أمر يجيء إلى الناس باسم هذه الشريعة -إن افتقدوا فيه تلك الصفات- فهو دخيل عليها (الشريعة)، مفهوم على غير وجهه الذي يريده، وبهذا نطقت نصوص القرآن وآياته، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ (الحج: ٧٨)، وقال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ

[٢٩] العقاد، **الفلسفة القرآنية**، مرجع سابق، ص٤١ بتصرف.

[٣٠] المرجع السابق، ص٩٤- ٩٧.

[٣١] أبو زهرة، **المجتمع الإنساني في ظل الإسلام**، مرجع سابق، ص٦٣-٦٤.

وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ (النساء: ٢٨).[٣٢] ولذلك دخل الإسلام قلوب الناس، وكسب عقولهم، فأثبتوا وجودهم في ظله.

ثالثاً: مقصد إصلاح العالم بتشريع العبادات الصحيحة

العبادة في الإسلام مقصد عام للخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات: ٥٦)، وهي في حقيقتها طاعة لله تعالى مع محبة وتعظيم وخضوع، تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال التي أمر بها، وندب إليها؛ سواء أكانت أعمالاً ظاهرةً مثل الصلاة والزكاة والحج، أم أعمالاً باطنةً مثل ذكر الله بالقلب والخوف منه والتوكل عليه... ؛ فعِلَّة وجود الإنسان هي العبادة، غير أن العبادة – بأوسع معانيها– التي تعد منهجاً تفصيلياً تبدأ بالعلاقات الزوجية، وتنتهي بالعلاقات الدولية؛ فيدخل فيها أعمال الإنسان التعاملية، مثل: الصدق، والأمانة، والعفة، والإنصاف، والرحمة... فهي عبادة لأنها تمثل سلوكاً ناتجاً من عقيدة، بحيث لا نستطيع أن نقطف من الدين شيئاً إن لم نستقم على أمره. والعبادة الشعائرية أيضاً (مثل: الصلاة، والحج...) لا تُقبَل ولا تصح إلا إذا صحت العبادة التعاملية؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (التوبة: ٥٣).

ومقصود العبادة لا يتحقق إلا إذا أدَّى الإنسان وظيفته الاستخلافية التي تتحقق بالسعي في مناكب الأرض والسير فيها، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٩)، وقال سبحانه: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠). وهذه العبادة تتغير من عصر إلى عصر، ومن زمان إلى زمان، وحتى من مكان إلى مكان؛ فاستخراج الثروات، وتطوير الصناعات، واستصلاح الأراضي، وإنشاء السدود، وتأمين المنتجات الزراعية، والمنتجات الصناعية، وحل مشكلات الأُمة كلها عبادات؛ لأنها تُحصِّن عقيدتنا وفكرنا، وتبعث

[٣٢] الخطيب، عبد الكريم. **التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته**، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥م، ص٢٠٩.

أُمتنا، وتُحقِّق استخلافنا، وتضمن وجودنا، وهذا هو المطلوب منَّا في عصرنا، ويتأكد الأمر في ظل تخلُّفنا.[٣٣]

وتأسيساً على ذلك، فإن معنى العبادة في الإسلام يتضمن الدين والحياة من جهة، وكيان الإنسان (ظاهره، وباطنه) من جهة أخرى، ولعل ذلك هو ما دفع العلماء المحققين إلى تضمينها -إلى جانب الشعائر المفروضة- ما زاد عليها من ألوان التعبد التطوعي؛ من: ذكر، وتلاوة، واستغفار، ومن أخلاق وفضائل إنسانية جامعة، مثل: الصدق، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والإحسان إلى الجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والبهائم...، ومن أخلاق ربانية عالية، مثل: حُب الله ورسوله، وخشيته سبحانه، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه...،[٣٤] ومن عبادات كونية حضارية، مثل: البناء، والتعمير، والاكتشاف، والتصنيع، وإعداد خطط الرفاه والتدبير... وبذلك تصبح أعمال الإنسان كلها عبادة، تسمو بالروح، وتحافظ عليها، فلا نقتصر على مفهوم "العبادة" بأداء أعمال خاصة فردية من دون ملاحظة حظ الجماعة فيها؛ فحظ الجماعة ملحوظ في العبادات، وبإمكان العبادة أن تبني أُماً في ظل التوسع الروحي.

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تُبيِّن أن تقوى الله ﷻ والأعمال الصالحة تفضي كلها إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦). لقد بيَّنت هذه الآية الكريمة الأثر المترتب على العبادة في حياة المسلم؛ فمَن اتقى الله ﷻ وآمن به، فإن الله تعالى يثيبه ويعطيه في الحياة الدنيا من الرزق، ويفتح عليه من بركات السماء والأرض، وذلك بإنزال المطر، وإخراج النبات والكنوز من الأرض.[٣٥]

---

[٣٣] النابلسي، محمد راتب. "حقيقة العبادة: تعريفها، وأقسامها، ومستوياتها"، مقال في الموقع الإلكتروني: http://www.nabulsi.com، يوم ٢٠١٧/٣/١م بتصرف.

[٣٤] محمد حلمي، عبد الوهاب. "العبادة في الإسلام... مفهوم وغاية"، **مجلة المسلم المعاصر**، عدد ١٤٠، ٢٠١١م.

[٣٥] العباد، عبد المحسن بن حمد البدر. "أثر العبادات في حياة المسلم"، مقال في موقع راية الإصلاح الإلكتروني: http://rayatalislam.com، يوم ٢٠١٦/١٢/١٣م.

فهي إذن سلوك الروح إلى خالقها؛ بالتقرب إليه بكل ما هو صالح في الدنيا، فيكون جزاؤها الحسنى في الآخرة. ولتمام الإصلاح العملي، فقد تدرَّج بنا القرآن الكريم إلى ضرورة بناء سلوكنا ومعاملاتنا المالية وغير ذلك؛ بتعظيم أخلاق وقيم جاء ذكرها فيه، ولا شك في أن أهم ما عني به القرآن هو إصلاحه التعامل المالي؛ لأنه مجال تزيغ فيه الأنفس كثيراً.

رابعاً: مقصد إصلاح العالم بإصلاح المعاملات

يراد بذلك -مثلاً- تحريم الربا وأكل أموال الناس بالباطل، والإشارة إلى أنواع المعاملات المالية الصحيحة، مثل: البيع، والهبة، والمعاملات الأسرية، كالزواج، والطلاق... .

١. المعاملات المالية:

نبَّه القرآن الكريم لعديد المعاملات المالية الصحيحة؛ نظراً إلى ضرورتها في إقامة الحياة، وضرورة الإنسان إليها، وهي وسائل لإصلاح معاشه. فقد جاء الإسلام والناس يتعاملون بالربا؛ استغلالاً للضعيف والفقير، فأبطله، وأحل البيع والتجارة وكل تبادل لا غبن فيه ولا ضرر، وأقام العقود على التراضي، وجعل لها شروطاً عادلةً لا استغلال فيها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾ (البقرة: ٢٧٥-٢٧٦)، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾ (البقرة: ٢٧٨)، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢). فقد أجاز الشرع كل ما من شأنه تنمية المال وزيادته بلا ظلم ولا غبن، وأجاز أيضاً انتقال المال بالوراثة، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ٧﴾ (النساء: ٧)، وقال عز من قائل: ﴿مِنۢ بَعۡدِ

وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ (النساء: ١١)، "فشرع الوصية وجعلها في حدود الثلث؛ وذلك لحفظ كيان الأسرة، وتحقيق العدل بين أفرادها، فمَن كان غنياً ينتقل ماله بالجبر داخل الأسرة في دائرة الثلثين، وقد كان الإسلام في ذلك وسطاً بين الذين قطعوا أوصال الأسرة بمنع انتقال الملك بالخلافة منعاً باتاً، وبين الذين أجازوا للمالك أن يتصرف في ملكه حياً أو ميتاً لمَن يشاء، لا فرق بين قريب أو بعيد، ولا غني أو فقير، وهي معظم القوانين الغربية، فكانوا يُورِّثون بالوصية مَن يشاءون، ويمنعون الباقي."[٣٦]

وبهذا تأصلت في القرآن الكريم أسس النظام المالي الإسلامي الذي يقوم على النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، وثبوت الملكية للأفراد، ومنع الضرر والجهالة؛ لكيلا يفضي التعامل إلى النزاع،[٣٧] ولكن يجب القول كما قال العقاد: "إن الإسلام لم يأتِ بخطة اقتصادية -تُقيِّد الأُمة- إذا خرجت عنها الأُمة خرجت عن الدين، بل جاء بأصول وكليات صالحة للتطبيق كلما تجددت الأزمان والأنظمة الجزئية الدقيقة، وليس معنى ذلك أن الإسلام ينفض يديه من مهمة الإصلاح الاجتماعي في زمن من الأزمنة، ولكن معناه أنه يقرر للإنسانية أصولاً لا يتحقق لها صلاح بغيرها، ثم يُفوِّض للعقل الإنساني كل الرأي في اختيار ما يلائمه من تفاصيل الإصلاح، غير مُقيِّد له بفرع من الفروع المتجددة ما دام أميناً على تلك الأصول."[٣٨]

فموقف الإسلام الفريد من المال ينسجم مع الحقيقة التي يقوم عليها بناء هذا الدين من أن الكون كله ملك لله، بما في ذلك المال، والإنسان في كل تقلباته وتصرفاته وسكناته وحركاته، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣). فبقدر ما يُخضِع الإنسان كيانه لهذه الحقيقة يكون قدر صلاحه وتمام النعمة عليه ورضاه، قال سبحانه: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١ ﴾ (الليل: ١٩-٢١).

---

[٣٦] أبو زهرة، **المجتمع الإنساني في ظل الإسلام**، مرجع سابق، ص٨٣-٨٤ بتصرف.

[٣٧] المرجع السابق، ص٨٣-٨٤.

[٣٨] العقاد، **الفلسفة القرآنية**، مرجع سابق، ص١٩٤-١٩٥.

ويوضح القرآن الكريم هذا الموقف بأشكال مختلفة؛ إيجاباً وسلباً، وجوداً وعدماً، فيأمر باقتنائه ﴿يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ (المزمل: ٢٠)، ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة: ١٠)، ويمنع اقتناءه من السحت والربا والغصب والسرقة، ويفصل أسباب الملكية المباحة وكيفية التصرف في المال وحسن إدارته، فيمنع التبذير الذي يفوت صاحبه المال على غير هدى، ويرميه إلى غير مرمى، ويمنع أيضاً التقتير الذي يمنع صاحبه الحقوق، ويغل يده إلى عنقه ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٦)، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝٢٩﴾ (الإسراء: ٢٩)، ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧)، ثم يؤكد حقيقة الاستخلاف ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٩).[٣٩]

ولهذا نهى القرآن الكريم عن أكل أموال الناس بالباطل عن طريق البخس والغش وتنقيص المكيال والميزان، ليس لأنه يقلب الموازين الاقتصادية في المجتمع، ويربك التعامل التجاري فحسب، بل لأنه يُمهِّد الطريق إلى الفساد والظلم اللذينِ يُسبِّبان الفقر والفاقة في المجتمع. وقد حرَّم الله ﷻ ممارسة هذا الانحراف المالي على المسلمين، وتوعَّد كل مَن يتعامل بهذه الطريقة المنحرفة بالويل والثبور ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ (المطففين: ١-٥)، وسمَّى كل ذلك إفساداً في الأرض، قال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٨٥)، وجاء على لسان سيدنا محمد ﷺ بعد أن نهاهم عن التطفيف في الكيل والوزن: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ (هود: ٨٨).

٢. المعاملات الأسرية:

مثلما أقام القرآن الكريم -في إطار إصلاحه العام- نظاماً للمعاملات المالية، فإنه أشار إلى نظام آخر يشمل العلاقات الفردية، فأرشد إلى نظام للأسرة؛ إصلاحاً لما كان

[٣٩] ابن بية، عبد الله. "المعاملات والمقاصد"، بحث مقدم للدورة الثامنة عشرة للمجلس الأوروبي للإفتاء، باريس، ٢٠٠٨م، الموقع الإلكتروني: https://www.alkutubcafe.com

فاسداً في الجاهلية، حيث كان نظام الأسرة يخضع لنظام المصلحة الشخصية تارةً، ولمنطق القوة تارةً أخرى؛ فلا تراحم ولا مودة، فجعل منه نظاماً للمودة والرحمة والتعارف، لا نظاماً للنسب والحسب والمال والجاه؛ لأن الزواج الصحيح يضبط العلاقات الاجتماعية، والسكن، والاستقرار، وهدوء النفس، وراحة البال، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الروم: ٢١)، فدل بذلك على أن الزواج يحقق تكامل الجنسين، إلى جانب إعفافهما وصونهما من الفجور والخنا والفساد. ولهذا يرى ابن عاشور في الزواج: "حُباً، وِوداً، ولطفاً، ورحمةً، وتعاوناً، وتناسلاً، واتحاداً، وإقامةً لنظام العائلة، ثم لنظام القبيلة، ثم الأُمة. وفي خلال تلك المعاني كلها معانٍ كثيرة من الخير والصلاح والعلم والحضارة."[٤٠]

وقد أقام القرآن الكريم هذه العلاقة على الأخلاق، بما في ذلك حسن العشرة، والإحسان، والمودة، والرحمة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩)، وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وقال ﷻ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨)؛ ما يمثل الغاية من الزواج، فليس المقصود منه التكاثر، وبقاء الأنواع فحسب، بل المودة، والرحمة، والتعاون، والاستقرار، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟﴾ (الروم: ٢١). فإضافةً إلى تحقيقه المتعة الحسنة واللذة الجسدية، فإنه يمثل رابطة يتم بها سكن النوعين، وقيام المودة والرحمة والحُب.[٤١]

وأمَّا ما جاء به القرآن الكريم من إباحة التعدد فمقصوده حماية الفطرة الإنسانية من التدافع نحو التلذذ بلا رادع، وهو تشريعه بنص الآية الكريمة: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ (النساء: ٣)؛ إذ لم يعطِه حكم الوجوب –مثلما يظن بعض الناس– فهو مباح في أصله، لا يقتصر فقط

[٤٠] ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٥٦.

[٤١] عبد العزيز، جابر. **الإسلام الدين القيم: دراسة نقدية فكرية للرد على مزاعم وافتراءات الغرب**، الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٨م، ص٧٢.

على التلذذ الحيواني، والتنقل بين الزوجات، كما ينتقل الخليل في الخليلات، وإنما هو ضرورة تواجه ضرورة، وحل لمشكلة.[٤٢]

وبالمقابل، فقد أشار القرآن الكريم إلى طرائق انحلال هذه الرابطة بعد استحالة استمرارها، فشرع الطلاق -الذي كان شائعاً قبل الإسلام- للضرورة (كان مباحاً بلا حدود في اليهودية، ومحرماً في المسيحية)، وقدَّم مهلة بتشريع ثلاث طلقات يحق بعد كل واحدة منها المراجعة، وتدارك الرابطة بالتصالح إلا في الثالثة ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ (البقرة: ٢٢٩)، وأباح لجوء المرأة إلى الطلاق في حال تضررت من الزواج، وأجاز لها الخلع بردِّ المهر، وهذا كله إصلاح يؤكد الفطرة، ويحقق العدل في العلاقة الزوجية؛ فالنساء كنَّ في حكم الماشية، يجوز للآباء والأزواج التصرف بأمورهن كما يحلو لهم، ولم يكن للبنات حق في الميراث، ولا في أي حق من الحقوق، وكثيراً ما كانت الوليدة تُدفَن في طفولتها لما تمثله من عار لوالدها بحسب الاعتقاد الشائع آنذاك، فجاء الإصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم ليرفع من شأنها، ويمنع وأدها، مُؤَكِّداً حقها في الحياة، ومُبيِّناً حقوقاً أخرى مرتبطة بحق الحياة؛ فأعطاها حقاً في الميراث ولم يمنعها، وبيَّن حقها في النفقة ومباشرة المعاملات المالية، شأنها في ذلك شأن الرجل، وهذا من تمام العدل عنده.[٤٣] وبذلك ساوى القرآن الكريم بين المرأة والرجل في جميع الحقوق والواجبات. أمَّا ما آل إليه وضع المرأة في بعض المجتمعات بعد نزول القرآن الكريم فالإسلام منه بريء، وهو من صنع المسلم لا الإسلام.[٤٤]

وذكر أحكام الأسرة في القرآن الكريم له حِكم عدَّة، منها: عدم ارتياب أحد في أحكامها، وضمان بقائها دائمة لا ينحرف منحرف عن أحكامها، ولا يتأوَّل متأوِّل بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالى، وابتعاد الناس عن تقليد غيرهم في أمر الأسرة.[٤٥]

---

[٤٢] مسلم، مصطفى، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن. **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، الشارقة: كلية الدراسات العليا، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٢، ص٢١.

[٤٣] عبد العزيز، **الإسلام الدين القيم: دراسة نقدية فكرية للرد على مزاعم وافتراءات الغرب**، مرجع سابق، ص٧٦-٨١.

[٤٤] العقاد، **الإسلام دعوة عالمية**، مرجع سابق، ص١١٢.

[٤٥] أبو زهرة، **المجتمع الإنساني في ظل الإسلام**، مرجع سابق، ص٨٧-٩٨.

ومثلما اهتم القرآن الكريم بالجانب الجنسي للإنسان وقنَّنه بوسطية، فقد اهتم بصحته وغذائه لأنه جسد، فأرشد إلى ما ينميه ويقويه فأحله، ونبَّه على ما يضره فحرَّمه حتى يتميز عن غيره من المخلوقات.

خامساً: مقصد إصلاح العالم بإصلاح العادات

يكون ذلك بالتنبيه على أنواع المطعومات والملبوسات، والنهي عن تناول الخبائث، والإذن في ركوب بعض الحيوان... فالمنهج القرآني لم يُهمِل إصلاحياً الجانب الجسدي المادي للإنسان؛ إذ وجَّهه إلى أكل الطيبات، واجتناب الخبائث، مثلما لم يُهمِل جانبه الروحي والمعنوي ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ (النحل: ١١٤-١١٥)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (المؤمنون: ٥١)، فأمره بتأمين مختلف الحاجات الأساسية اللازمة لنموه السليم، وحياته الكريمة؛ من: طعام، وشراب، ودواء ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأعراف: ٣١-٣٣)، مُصرِّحاً بفوائد الأنعام والبهائم الإمتاعية ومنافعها التسخيرية ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (النحل: ٥-٩).

وممَّا يدل على قصد إشباع حاجة الإنسان الجمالية، إلى جانب حاجته البيولوجية إلى الطعام والشراب وسائر حاجاته المعيشية من الخدمات، ما أورده القرآن الكريم من

مشاهد الجمال والتزين والتمتع بالطيبات، في إشارة إلى ضرورة تقويم السلوك وضبطه بما يناسب مقصده، فينتج من ذلك تميُّز المسلم في عقائده، وعبادته، ومناهج حياته، وهدفه من هذه الحياة بحيث تكون مطية للآخرة. فإذا كان هدف الكافر -في الحياة الدنيا- من عمله الاجتماعي والسياسي والإصلاحي هو تحقيق التقدُّم المادي، أو تعميم الشهوة، فإن الهدف العام للمسلم في عمله العام هو إقامة الدين لتحقيق مصالحه؛ ما يفضي إلى تميُّز في السلوك يجمع بين ما يحقق المتعة والحكمة وما يحقق العبادة والرقي الروحي، ولهذا أباح القرآن التمتع واللعب واللهو والزينة والتكاثر، ولكن بما يحقق كمال الروح، وما يقويها، لا بما يهدر الروح ويهددها.[٤٦]

فالإنسان في نظر القرآن روح وجسد، وكما شرع ما ينمي الروح ويكملها شرع ما ينمي الجسد وينميه؛ إكمالاً لسعادة الإنسان في الامتثال لأمر خالقه، قال تعالى مُبيِّناً حدود التمتع: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ (آل عمران: ١٤)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ (محمد: ٣٦)، وقال تعالى في بيان حقيقة الحياة، والتذكير بفنائها لا محالة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الحديد: ٢٠).

وقد أرشد القرآن الكريم المسلم إلى ضرورة التوسط في التمتع واللعب واللهو؛ لكيلا تموت الروح ويبقى الجسد، ولكيلا يموت الجسد وتبقى الروح، فأوصاه بالتمتع في تعقل واعتدال من دون إفراط ولا تفريط، ووضع لذلك ضوابط؛ فحرَّم الذهب على الرجال لأن كمالهم في قوتهم وعقولهم وأعمالهم،[٤٧] وأباح لهم ركوب الخيل والدواب والأنعام واستخدامها، مُحذِّراً إياهم من طغيان حُبهم لها على إعطاء حق الله تعالى فيها؛ فلهم أن يستعملوها، ولكن في الطرائق المشروعة ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا

---

[٤٦] حوى، سعيد. **الإسلام**، القاهرة: دار السلام، ط٤، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٢٥٧ بتصرف.

[٤٧] الخضر، محمد حسين. **مقاصد الإسلام في إصلاح العالم**، ضمن: **موسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين: الدعوة إلى الإصلاح**، سوريا: دار النوادر، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٩، ص١٣١.

تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ (النحل: ٨). وأباح لهم أيضاً تملُّك المال؛ فهو أمر مرغوب، ولكن من دون نسيان الفقير والمحتاج ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ (آل عمران: ١٤).

وخلاصة ذلك أن المسلم يحب المال بوصفه وسيلةً لحفظ كرامته عن ذل السؤال، ويحب النساء ضمن حدود التمتع المسموح ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: ٣٠-٣١)، ويحب الأولاد، ولكن حُب الله أعظم؛ فلا يصرفه حُبهم عن ذكره، وعن الصلاة، وعن العبادة كلها، وعن الجهاد ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ (التغابن: ١٥)، ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (التوبة: ٢٤).

والحقيقة أن الخيل والأنعام والحرث والسيارات الفاخرة وكل ما يُركَب هو سبيل للتمتع من دون مباهاة أو تفاخر؛ إذ إن ذلك كله ليس ممَّا يتوقف عليه وجود الحياة وقيامها واستمرارها، وإنما هو تكميلات وتحسينات، فلم يُكثِر القرآن الكريم من ذكرها؛ لأن الاهتمام بها يقلب الفروع عن أصولها، ويميت القلب وروحها. أمَّا التمتع بالطعام والشراب فقد أباحه القرآن الكريم بما يحقق وجوده بوصفه إنساناً متميزاً عن الحيوان؛ فلا يأكل النجاسات، ولا يشرب الخمر ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠)، فضبطها بحِكَم أخلاقية ترقى عن كل حكمة غذائية.[٤٨]

وغاية القرآن الكريم من هذا كله هي جعل الإنسان محور الحضارة التي يريد إنشاءها؛ إذ هو العنصر الفاعل المُؤثِّر ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠). فالوظيفة التي أناط القرآن بها الإنسان حقيقةً إنما هي عمارة الأرض بمعناها الشامل العام، التي تشتمل على إقامة مجتمع إنساني سليم، وتشييد حضارة إنسانية شاملة.

[٤٨] حوى، **الإسلام**، مرجع سابق، ص٢٥٧-٢٨٠ بتصرف.

يقول الميداني في هذا الصدد: "وبإحصاء صور التقدُّم والرقي عند الإنسان نستطيع أن نرجعها إلى الأصناف الثلاثة التالية:

الصنف الأول: ما يخدم الجسد ويمتعه من وسائل العيش، وأسباب الرفاهية والنعيم،...، ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدم العمراني والزراعي والصناعي والصحي والأدبي والفني، والتقدُّم في الإنتاج الحيواني، واستخراج كنوز الأرض، والاستفادة من الطاقات المنبثة فيها، وما أشبه ذلك، ويدخل ضمن هذا جميع أنواع العلوم والثقافات التي تخدم هذا الصنف.

والصنف الثاني: ما يخدم المجتمع الإنساني، ويكون من الوسائل التي تمنحه سعادة التعاون والإخاء والأمن والطمأنينة والرخاء، ... ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدُّم الاجتماعي الشامل للنظم الإدارية، والحقوقية، والمالية، والأحوال الشخصية، والشامل للأخلاق والتقاليد والعادات الفاضلات، وسائر طرق معاملة الناس بعضهم بعضاً في علاقاتهم المختلفة، وكل أنواع الثقافات والعلوم التي تخدم هذا الصنف.

والصنف الثالث: ما يأخذ بيد الإنسان فرداً كان أم جماعةً إلى السعادة الخالدة التي تبدأ منذ مدة إدراك الإنسان ذاته والكون من حوله، وتستمر مع نفسه وروحه الخالدتين إلى ما لا نهاية له في الوجود الأبدي، ... ويدخل في هذا الصنف أنواع التقدُّم الفكري القائم على التأملات الحكمية، التي توصل الإنسان إلى معرفة الخالق، وسر وجود الإنسان، وغايته ومصيره، وواجبه في الحياة الدنيا ...، وهي الأمور التي تحمل اسم المعتقدات والواجبات الدينية وسائر التكاليف والآداب الشرعية الإسلامية".[٤٩]

وهكذا كان القرآن الكريم مصدر الحضارة الإنسانية الراقية بتعاليمه التي شملت مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأوفى بمتطلبات الروح والبدن والعقل، وعالج قضايا الفرد والجماعة والدولة، "فاعتنى بمختلف القيم النفسية والاجتماعية والمادية للإنسان في تكامل يستهدف حاجات الإنسان، ويرتفع به عن المطامع والأهواء. وقد انطلق من أصدق منطلقات الإنسان وهي الفطرة، فقد دعا إلى الزواج والشراب والزينة

[٤٩] الميداني، عبد الرحمن حسن. **الحضارة الإسلامية: أسسها، ووسائلها، وصور من تطبيقات المسلمين لها، ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم**، دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص١٩-٢٠.

والطعام والعمران، وركز حول ذلك الجانب الاجتماعي قيماً ثابتةً، وجعل لها ضوابط أهمها التوسط وعدم الإسراف ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ (الأعراف: ٣١)."[٥٠]

ويحق لنا أن نطلق على هذا الفقه اسم فقه العادات؛ الذي يُعلِّمنا أن التمتع بهذه النعم وتطويرها هو مقصد القرآن الكريم، لتكون في خدمة الروح والمادة معاً، وأن ذلك لا يتحقق إلا ببناء الأرض وعمارتها، والسير في مناكبها، والأكل من رزقها، فهذا هو الإصلاح المنشود الذي يؤدي إلى العمران الحضاري، وفق كل الظروف والأحوال التي يعيشها الفرد المسلم في أي زمان، فيما يُعرَف عند المعاصرين باسم فقه العمران؛[٥١] تحقيقاً لمصالح الناس المتجددة والمتغيرة مع تغير الأزمان بحيث إذا فُقِدت أصبحت من مفاسد الأرض.

سادساً: مقصد إصلاح العالم بإقامة العقوبات والزجر عن الاعتداء

حافظ القرآن الكريم على هذه التشريعات بسَنِّه نظاماً عقابياً جزائياً فريداً، جمع بين الرحمة والشدة؛ بُغية تطهير المجتمع من الفساد والمفسدين ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ (المائدة: ٣٨)، ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ (النور: ٢)؛ فهذه الدساتير الصارمة ما أُقِرَّت إلا للحد من الفساد والإفساد في المجتمع الإسلامي.

وقد فرَّق القرآن الكريم بين عقوبات الجنايات تبعاً لتأثيرها في الصالح العام، ومقدار المصلحة المجتلبة، فشدَّد في عقوبات الجرائم التي تمس مصلحة المجتمع كله، وشرع حدوداً لها مصالح في حفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعِرض؛ إذ شرع عقوبة القتل للمرتد حفاظاً على الدين، وعقوبة القصاص حفاظاً على النفس، وحرَّم الخمر، وشرع حداً فيه حفاظاً على العقل، وأمر بقطع يد السارق حفاظاً على المال، وشرع حد القذف

[٥٠] الجندي، أنور. **مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام**، مصر: مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة البحوث الإسلامية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص٣٠.

[٥١] انظر: القحطاني، مسفر بن علي. **الوعي الحضاري: مقاربات مقاصدية لفقه العمران الإسلامي**، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٣م.

حفاظاً على العِرض، ثم تدرَّج في العقوبة في حال كان أثرها خفيفاً بالنظر إلى جرائم الحدود، فشرع التعزيرات بحسب الجريمة المقترفة، ونوَّع فيها على حسب تحقُّق المقصد منها؛ بين التوبيخ، والتشهير، والضرب، والسجن... بما لا يصل إلى حد القتل أو القطع.[٥٢]

فالعقوبة في الإسلام مقصود منها حماية المجتمع، وهي ضرورة اجتماعية اقتضتها مصلحة الجماعة. وكل ضرورة تُقدَّر بقدرها؛ فإذا كانت مصلحة الجماعة تتحقق بتخفيف العقوبة وجب أن يستفيد الجاني من التخفيف؛ لأن حفظ مصلحة الجماعة ليس في التشديد، وليس من العدل في دين العدل أن تكون العقوبة زائدة على حاجة الجماعة طالما شُرعت لحماية الجماعة، ومثال ذلك ما كان عليه الوضع في الجاهلية إزاء جريمة القتل؛ إذ كانت عقوبة القتل توقع تبعاً للجاه والمال والحسب، فأصلح الإسلام ذلك، وساوى بين الناس في الحكم؛ لأن المقصود ليس ذات الإنسان، وإنما حال الجماعة ومصلحتها.[٥٣]

خاتمة:

يتبيَّن ممَّا سبق شدة اعتناء القرآن الكريم بالإصلاح حتى غدا مقصداً دينياً مُؤصَّلاً فيه، شاملاً عدَّة مجالات فردية وجماعية وإنسانية. وقد حرص القرآن الكريم على الجمع بين المادة والروح تحقيقاً لمعنى الإنسانية، وأكد عدم اكتمال صلاح الفرد أو المجموع إلا بصلاح الآخر؛ ما أوجب تشريع كل ما يُصلح الفرد والجماعة. وفيما يأتي أهم النتائج التي انتهى إليها البحث:

١. الإصلاح عموماً هو دفع الفساد، وجعل الشيء صالحاً؛ إمَّا بتعديله، وإمَّا بتغييره كلياً.

٢. آيات الإصلاح في القرآن الكريم تعد دستوراً شاملاً، وتقنيناً كافياً لكل إصلاح.

---

[٥٢] أبو زهرة، **المجتمع الإنساني في ظل الإسلام**، مرجع سابق، ص٨٤-٨٦.

[٥٣] حوى، **الإسلام**، مرجع سابق، ص٥٤٦ وما بعدها بتصرف.

٣. الإصلاح (استقراءً للآيات الآنف ذكرها، وما يكملها من أحاديث نبوية شريفة) هو مقصد قرآني قطعي؛ سواء بما يقصده من عموم تحقيق المصلحة، أو بما يقصده من ضوابط لهذه المصلحة.

٤. المقصود من الإصلاح القرآني هو حفظ نظام العالم باستدامة صلاحه، ولا يتحقق ذلك إلا بصلاح الإنسان المهيمن عليه.

٥. صلاح الإنسان المهيمن على العالم يكون بصلاح تفكيره أولاً؛ لكي يتمكن من إصلاح ما بين يديه.

٦. إصلاح العالم من منظور القرآن الكريم هو تحقيق المصلحة للناس كافةً، والحفاظ عليها؛ فكل ما يقيمها مطلوب، وكل ما يُعوِّقها مذموم.

٧. صلاح العمل في الإسلام ليس مقصوداً منه الإتيان بالعبادات المفروضة فقط، وإنما كل عمل يحقق عبودية مخلصة؛ من: سلوك، وقيم أخلاقية فردية وحضارية.

٨. للفكر الجماعي أثر كبير في تنمية روح الإصلاح وتحقيقها؛ لارتباطه الوثيق بالقيم الحضارية التي تسمو على كل قيمة فردية.

وتأسيساً على ذلك، توصي الباحثة بما يأتي:

١. ضرورة تفعيل قراءة القرآن الكريم بناءً على فكرة الجماعة لا فكرة الفرد؛ أي التركيز على التفسير الموضوعي للقرآن الكريم إلى جانب التفسير الجزئي.

٢. وجوب توسيع معنى العبادة بحيث يصبح كل عمل مقصود منه الإصلاح عبادةً لها أجرها عند الله تعالى.

٣. التشديد -في كل إصلاح أو تغيير- على تحقيق المصالح للناس في ضوء القيم الحضارية، وعلى رأسها المساواة، والعدل، والرحمة.

٤. إعطاء معنى جديد للعقيدة الإسلامية، ومحاولة ترسيخه بضرورة العمل والاجتهاد، وبذل الجهد لتحقيق كل ما هو نافع، ولا سيما أن الإصلاح يتيح لنا تحقيق الوسائل المشروعة حتى يكون التمكين.